حق القرآن

على أمة القرآن

﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون﴾

أ.د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

حق القرآن على أمة القرآن

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾

أ.د. عبدالله بن عمر الدميجي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد قال الله تعالى في محكم التنزيل مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم وممتنا عليه وعلى أمته ومذكرا بما أكرمهم به من الشرف العظيم والمكانة الرفيعة باصطفائهم واختصاصهم بإنزال هذا الكتاب العزيز ومذكرا بالمسؤولية الجسيمة تجاه هذا الاصطفاء والاختيار: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ الزخرف: ٤٤ ومثلها قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ الأنبياء: ١٠ أي: أن هذا القرآن شرف وفخر لكم أيها المسلمون ومنقبة جليلة ونعمة لا يقادر قدرها ولا يعرف وضعها، ويذكركم أيضا ما فيه من الجزاء الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه، ويذكركم الشر ويرهبكم عنه.[1]

جاءت هذه الآية الكريمة بعد أمره تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم ولأمته بالتبع بما يجب عليهم تجاه هذا الشرف العظيم والمنّة الربانية وذلك بتأكيد الأمر بالاستمساك بهذا الوحي المنزل ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ الزخرف:٤٣ أي: تمسّك به غاية التمسّك ولا تفرّط فيه أو تلتفت إلى غيره، ثم قال تعالى: (إنك على صراط مستقيم) وهذه الجملة تعليلية لقوله: (فاستمسك) وهي من زيادة دواعي الاستمساك ودوافعه فإنك على الحق والطريق الآمنة المستقيمة الواسعة، فلا تحيدوا عنه ولا تقصروا في الاستمساك به.

ثم ختم تعالى الآية الكريمة بما يدل على المسؤولية العظمى تجاه الوحي العظيم، وهذا التشريف والتكريم والإنقاذ به من ظلمات الجاهلية إلى نور الحق والهدى في أوجز عبارة

---

[1] تفسير السعدي(ص: ٧٦٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأعظم تكليف(وسوف تسألون) عن القيام بحقه عليكم، وعن مقدار العمل بما كلفتم به، وعن شكر هذا الشرف العظيم الذي خصّكم الله تعالى به.

إنها لتبعة ضخمة، تُسأل عنها الأمة التي اختارها الله لحمل الرسالة وإبلاغها للبشرية(وسوف تسألون).

فضل القرآن:

ولعلنا في هذه الأسطر نشير إلى شيء من مكانة هذا القرآن وتشريف الله الأمّة به، وعن شيء من واجباتها ومسؤولياتها تجاهه وحقّه عليها؛ لننظر مدى تقصيرنا الفردي والجماعي في حق كتاب الله تعالى الذي شرفنا الله به.

فالقرآن الكريم هو أشرف الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى، قال سبحانه:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨.

أنزله على أشرف أنبيائه ورسله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء: ١١٣، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)).[٢]

-أنزله بسفارة أشرف الملائكة عليهم السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤، وقال تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ التكوير: ١٩ – ٢٠.

- أنزله لأشرف الأمم وأفضلها؛ إذا هي قامت بما أوجبه الله عليها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

[٢] مسند أحمد ١٠٩٨٧(١٧/ ١٠) وعند مسلم، بدون زيادة "ولا فخر" ٢٢٧٨(٤/ ١٧٨٢).

وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ آل عمران: ١١٠.

- أنزله في أشرف شهر من شهور السنة قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥.

- بل وفي أشرف ليلة من ليالي هذا الشهر الكريم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ القدر: ١ - ٣ وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ الدخان: ٣.

- ونزل بأشرف لغة وأفضلها ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٥ وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: ٢. قال ابن كثير رحمه الله: "لغة العرب هي أفصح اللغات وأبينها وأوسعها".[٣]

- وكان ابتداء نزوله في أشرف بقاع الأرض في بلد الله الحرام وبجوار بيته العتيق في غار حراء في جبل النور ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١.

قال ابن كثير: "فكمل من كل الوجوه" ولهذا قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يوسف: ٣.

ومن أجل هذا الشرف العظيم والمكانة السامقة فإن حياة المؤمن كلها بالقرآن ومن أجل القرآن:

- **فبه يهتدي ويهدي** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢.

- **وبه يجاهد** ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الفرقان: ٥٢.

[٣] تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٥).

- **وبه يستمسك** ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ الزخرف: ٤٣.

- **وبه يبشّر** ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ مريم: ٩٧.

-**وبه يقوم** ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ الإسراء: ٧٩.

- **وبه يذكّر** ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ ق: ٤٥.

- **وبه ينذر** ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ الأنعام: ٥١.

- **وبه يشرف** ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الزخرف: ٤٤.

- **وبه يحكم** ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ المائدة: ٤٩.

- **وبه يفرح** ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يونس: ٥٨. بعد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ يونس: ٥٧.

ولذلك كانت حياة الجيل الأول والصدر الأعظم بالقرآن، فنبينا صلى الله عليه وسلم: ((كان خلقه القرآن))[٤] ويقول الحسن بن علي رضي الله عنهما: "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها في الليل ويتفقدونها في النهار".[٥] وهو أهم وصاياهم

---

[٤] مسند أحمد ٢٤٦٠١(٤١/ ١٤٨).

[٥] التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٥٤).

رضي الله تعالى عنهم، قال رجل لأبي بن كعب – أقرأ الصحابة – أوصني قال: "اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكَماً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، شفيع مطاع وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم".[٦]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((أيُّ الخَلْقِ أَعْجَبُ إيمانًا؟.

قالوا : الملائكةُ.

قال : الملائكةُ كَيْفَ لا يُؤْمِنُونَ!.

قالوا : النبيُّونَ.

قال : النبيُّونَ يُوحَى إليهِمْ فكيفَ لا يُؤْمِنُونَ!.

قالوا : الصَّحابَةُ.

قال : الصَّحابَةُ مع الأنبياءِ فكيفَ لا يُؤْمِنُونَ!.

ولَكِنَّ أعجبَ الناسِ إيمانًا.

قومٌ يَجِيئُونَ من بَعْدِكُمْ.

فَيَجِدُونَ كتابًا مِنَ الوَحْيِ.

فَيُؤْمِنُونَ بهِ ويَتَّبِعُونَهُ.

فَهُمْ أَعْجَبُ الخَلْقِ إيمانًا)).[٧]

وعليه فإن الاعتصام والاهتمام والتعلق بالقرآن شرف ورفعة لمن تعلق به؛ بتعلّمه وتعليمه، بالعمل به وتنفيذه، بتلاوته وحفظه وتحفيظه، بترتيله وتدبره، بالعناية به وضبطه وكتابته وصيانته ونشره وتوزيعه... فجميع وجوه التعلق والعناية بكتاب الله والاشتغال به شرف لمن وفّق لذلك، ورفعة له في الدارين.

---

[٦] سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٢).

[٧] رواه البزار، وقال غريب (١٣/ ٤٨٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٦٦٩ (٥/ ٩٩٥) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥٣٨) قال الهيثمي: فيه سعيد بن بشير وقد اختلف فيه، فوثقه قوم وضعفه آخرون وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٦٥)، وقال الألباني: رجاله ثقات سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ٣٢١٥(٧/ ٦٥٥).

والعرب لم تشرف إلا بهذا الكتاب، ولا ميزة لها على سائر الأمم إلا بهذا القرآن، ولا تملك ما تقدمه للبشرية إلا هذا الزاد وأنعم به من زاد، فهو الزاد الوحيد الذي لا يملكه غيرها، الذي به يمكن إنقاذ البشرية جمعاء مما تعانيه من مشكلات، ولن تجد الحياة السعيدة والاستقرار إلا بالعمل بهذا القرآن، وقد جربت الأمم أنواعا من الديانات المحرفة والمخترعة وأشكالا من المناهج البشرية فلم ولن تجد الحياة الطيبة للأفراد والجماعات إلا بالعمل بهذا القرآن، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ الأنبياء: ١٠ أي شرفكم وفخركم وارتفاعكم، قال ابن سعدي رحمه الله : "وهذه الآية، مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، الذين تذكروا بالقرآن، من الصحابة، فمن بعدهم، حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر، والصيت العظيم، والشرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل، لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسا، ولم يهتد به ويتزك به، من المقت والضعة، والتدسية، والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب".[٨]

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ النحل: ٩٧، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنعام: ٨٢.

فإن تخلت عنه الأمة صارت في ذيل القافلة، وهامش المجتمعات.

وماذا كان العرب قبل هذا القرآن؟ وماذا كانوا بعده؟ كانوا رعاة للشاء والبعير يعبدون الحجر والشجر فلما انتشلهم الله تعالى بالقرآن صاروا رعاة للأمم وقادة للشعوب، كما قال أبو برزة رضي الله عنه : " إنكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم حتى بلغ بكم ما

[٨] تفسير السعدي (ص: ٥٢٠).

ترون ...".[9] وفي رواية :" إن الله يغنيكم أو نعشكم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم".[10]

فهذا عمر الذي غيّره القرآن وأدّبه أحسن تأديب، وصحح تصوراته وموازينه يسأل مولاه على مكة نافع بن عبد الحارث لمّا لقيه بعسفان : من استعملت على أهل الوادي ؟ – يعني مكة – قال : ابن أبزى .. مولى من موالينا. قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض. قال عمر : أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)).[11]

بل حتى الجن شملهم تغيير القرآن؛ فانتشلهم وصحّح اهتماماتهم ووظائفهم؛ فما أن حضروا وسمعوا القرآن حتى قالوا: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الأحقاف: ٢٩.

ماذا قالوا لهم؟: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الأحقاف: ٣٠.

فما هو المطلوب؟: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ الأحقاف: ٣١.

وقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ الجن: ١-٢.

بل إن هذا التغيير والخضوع يشمل حتى البهائم والجمادات الصلبة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الحشر: ٢١.

وهذه البركة القرآنية تلحق الدور وساكنيها، يقول أَبو هرَيرَة رَضِي اللَّهُ عَنه: "إن البيت ليتسع على أهله وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن، وإن

---

[9] صحيح البخاري ٧١١٢(٩/ ٥٨).

[10] صحيح البخاري ٧٢٧١ (٩/ ٩١).

[11] صحيح مسلم ٢٦٩ (١/ ٥٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البيت ليضيق على أهله وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن".[١٢]

حقوق القرآن:

ولعلنا نشير إلى شيء من حقوق هذا القرآن على أمة القرآن الذي ستُسأل عنه وعما قامت به، ومن ذلك:

أولا: الإيمان الجازم واليقين القاطع بأن القرآن هو الحق نزل بالحق من الحق سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠ ﴾ النساء: ١٧٠، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ ﴾ يونس: ١٠٨.

وقد وصف الله تعالى ما أنزله على رسوله من الوحي بأنه الحق في أكثر من مائة موضع من كتابه العزيز، فالله تعالى هو الحق، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وبالحق أنزل القرآن وبالحق نزل، وخلق السموات والأرض بالحق﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾ المؤمنون: ١١٦.

والسنّة وحي وحقّ من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ النجم: ٣ – ٤؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ الحشر: ٧، وأمر بطاعة رسوله في أكثر من (ستين) موضعا، وقرن طاعته بطاعته ومخالفته بمخالفته.

---

[١٢] سنن الدارمي٣٣٥٢(٤/ ٢٠٨٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق)).[١٣]

وإذا تقرر أن ما جاء في القرآن والسنة هو الحق الذي لا مرية فيه، فإن كل ما خالفه ضلال وباطل، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يونس: ٣٢.

ومن مقتضيات الإيمان بأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق؛ الإيمان به والإخبات له والإذعان والتسليم، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ الحج: ٥٤.

والرسول أعلم الخلق بالحقّ، وأرغبهم في تعريف الخلق بالحقّ، وأقدرهم على بيانه وتعريفه "فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود، ومن سوى الرسول إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد وإما ألّا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه إما لرغبة وإما لرهبة وإما لغرض آخر وإما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان".[١٤]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "جماع الفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك: أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتّباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل.. والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم".[١٥]

ويقول تلميذه ابن القيم رحمه الله: " القرآن الكريم هو الكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين، أنزله لنقرأه تدبرا، ونتأمله تبصرا، ونسعد به تذكرا،

---

[١٣] أخرجه أحمد في المسند ٦٥١٠(١١/ ٥٨) وأبو داود في السنن ٣٦٤٦(٣/ ٣١٨) والحاكم وصححه. المستدرك على الصحيحين ٣٥٧(١/ ١٨٧).

[١٤] مجموع الفتاوى (١٣/ ١٣٦).

[١٥] المرجع السابق.

ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه، ونجني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله سبحانه، ورياحين الحكم من بين رياضه وأزهاره، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات".[١٦]

[١٦] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيا: التعظيم والتقديس للقرآن وإقداره حق قدره.

إذا تبيّن أن القرآن هو الحق من عند الله تعالى؛ فإن من مقتضيات ذلك تعظيمه وتقديسه، وإنزاله المنزلة اللّائقة به.

وتعظيم القرآن هو من تعظيم الله تعالى، كما أن من لم يعظم القرآن وأحكامه لم يعظم الله تعالى؛ لأنه كلامه ودينه وشرعه المنزّل وهو وحيه الذي تخضع له السموات والأرض ومن فيهن كما في حديث: ((إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم.. الحديث)).[١٧]

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٢١﴾﴾ الحشر: ٢١.

ومن لوازم التعظيم للقرآن الكريم ومقتضياته:

١- **الاعتقاد الجازم بأنه كلام الله حقا وصدقا في أخباره، وعدلا في أحكامه** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ الأنعام: ١١٥ ثم العلم به والفقه فيه، والاجتهاد في معرفة مراد الله تعالى من آياته، ومراد رسوله.

٢- **الإيمان بأخباره وما ورد فيه من أمور الغيب من التعريف بالله تعالى وربوبيته وأسمائه وصفاته وحقوقه تعالى**، ومن وعده ووعيده وجنّته وناره، وأمور الغيب الأخرى، ومن الإيمان بما ورد فيه من الأخبار عن الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم وإكرام الله تعالى ونصره لأوليائه وتعذيبه ونكاله بأعدائه.

٣- **العزم الجازم على الامتثال لأمره ونهيه والمسارعة في ذلك** امتثالا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الأنفال: ٢٤.

---

[١٧] أخرجه أبو داود ٤٧٣٨(٤/ ٢٣٥) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥٠) وصححه الألباني. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٢٨٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويجتهد في أداء ما أمر الله تعالى به على أحسن وجه وأكمل صورة يرضاها سبحانه وتعالى، بعيدا عن تتبع الرخص وشواذ الأقوال والتفسيرات، قال نافع رحمه الله: "إنّ هذا القرآن لعظيم جاء من عند عظيم، فإذا قرأت فلا تشتغلنّ بغيره، وانظر من تخاطب، وإياك أن تملّ منه أو تؤثر عليه غيره".[١٨]

٤- **الوقوف عند حدود الله تعالى، وعدم تجاوز أمره تعالى ونهيه لا إفراطا ولا تفريطا،** كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴿١٧١﴾﴾ النساء: ١٧١، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾ هود: ١١٢ أي لا تميلوا عن الاستقامة، ولا تتجاوزوا ما أمركم الله به بإفراط أو تفريط .

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها)).[١٩]

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[٢٠] وعند مسلم: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ)).[٢١]

٥- **الفرح عند امتثال أحكام الله تعالى وتطبيقها والتزام الناس بها، والغضب والحزن عند انتهاك حرمات الله** وتجاوز حدوده والتمرد على الالتزام بأمره ونهيه، ((وذلك أضعف الإيمان)) كما قال صلى الله عليه وسلم[٢٢]، وفي رواية: ((وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)).[٢٣] بعد العجز عن تغيير المنكر باليد واللسان، وإنكار المنكر بالقلب ليس بالهيّن؛ وهو يحمي المنكِر من الوقوع في ذلك المنكر .

---

[١٨] مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٥/ ٢٣٠).

[١٩] أخرجه الطبراني في الأوسط٤٧٦١(٧/ ٢٦٦) والكبير ٥٨٩(٢٢/٢٢١) والدارقطني ٤٣٩٦(٥/ ٣٢٦)وغيرهما بإسناد حسن.

[٢٠] صحيح البخاري ٢٦٩٧(٣/ ١٨٤)؛ صحيح مسلم ١٧١٨(٣/ ١٣٤٣).

[٢١] صحيح مسلم ١٧١٨(٣/ ١٣٤٣).

[٢٢] صحيح مسلم ٤٩(١/ ٦٩).

[٢٣] المصدر السابق ح:٥٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما الفرح بامتثال أمر الله واستقامة الناس على الطاعة فهو ديدن السلف الصالحين، قال أحدهم: "وددتُ أنّ الخلق أطاعوا الله وأنّ لحمي قُرِض بالمقاريض".[٢٤]

وقال عمر بن عبد العزيز: "ليتني عملتُ فيكم بكتاب الله وعملتم به، فكلّما عملتُ فيكم بسُنّةٍ وقع مني عضو، حتى يكون آخر شيءٍ منها خروج نفسي".[٢٥] وقال أحمد: " إني أرى الرجل يحيي شيئا من السنة فأفرح به".[٢٦]

٦- **أخذ الكتاب بقوة.** قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ١٢﴾ مريم: ١٢، قال ابن زيد رضي الله عنه: "القوّة: أن يعمل ما أمره الله به، ويجانب فيه ما نهاه الله عنه".[٢٧]

فيجب على حامل القرآن أن يأخذه بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة. وهو شامل الأخذ الحسي والمعنوي، وهو الأخذ بما فيه كما ينبغي.

٧- **تعظيم المصحف، والتأدب عند قراءته وتعليمه.**

ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، إذا خيف وقوعه في أيدي الكفار فيدنسونه، كما نهى صلى الله عليه وسلم عن مسّ المصحف إلا على الطهارة كما في حديث عمرو بن حزم[٢٨]، وألا يدخل به بيت الخلاء، والأماكن غير اللائقة، وأن يحترم وينزه، وكل صورة من الصور التي يظهر منها المهانة للمصحف أو آية من كتاب الله تعالى؛ فإنها قد تصل إلى الردة والكفر والعياذ بالله.

---

[٢٤] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني (١/ ٤٧).

[٢٥] المرجع السابق.

[٢٦] سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣٥).

[٢٧] تفسير الطبري (١٨/ ١٥٥).

[٢٨] صحيح ابن حبان ٦٥٥٩(١٤/ ٥٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثا: اليقين الجازم بأن كتاب الله تعالى مبيِّن للدين كله، وأن الله قد أغنانا به عما سواه وأنه لا غنى لنا عنه طرفة عين.

موضّح لسبيل الهدى، هاد للتي هي أقوم، كاف لمن اتّبعه لا يحتاج معه إلى غيره، يجب اتباعه دون اتّباع غيره من السبل، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ المائدة: ٣، قال ابن عباس: " أخبر الله نبيه والمؤمنين بأنه أكمل لهم الدين فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمّه فلا ينقصه أبدا، ورضيه فلا يسخطه أبدا".[٢٩] قال تعالى :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ الكهف: ١ يعني القرآن؛ فقد رتّب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهاً على أنه أعظم نعمائه، وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد.[٣٠]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ الإسراء: ٩، يهدي للتي هي أقوم في كل شيء من أمور الدين والدنيا.

ولذا فقد أغنانا الله تعالى بالكتاب والسنة في معارفنا ومعلوماتنا الدينية، ولم يحوجنا إلى أحد سواه، بل قد نهانا أن نلتفت إلى غيره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:" يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، محضا لم يشب".[٣١]

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد ذكره لآية البلاغ ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

[٢٩] تفسير الطبري(٩/٥١٨).

[٣٠] تفسير البيضاوي(٣/ ٢٧٢).

[٣١] صحيح البخاري ٢٦٨٥(٣/ ١٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧.. وغيرها: " ومثل هذا في القرآن كثير مما يبين الله فيه أن كتابه مبيِّن للدين كله، موضح لسبيل الهدى كان لمن اتبعه لا يحتاج معه إلى غيره يجب اتباعه دون غيره من السبل".[٣٢]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله:"لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحداً من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها".[٣٣]

بل لا خيار لنا فيما سواه، قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥.

وبيّن الله تعالى أن العدول عن التحاكم إليه، وإلى ما فيه من تشريعات هو تحاكم إلى الطاغوت، فقال عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢ بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ النساء: ٦٠.

وبيّن أن ذلك من حكم الجاهلية ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ المائدة: ٥٠. وحكم على من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق كما في سورة المائدة باعتبار اختلاف الحالات والوقائع.

---

[٣٢] درء التعارض(١٠/٣٠٤).

[٣٣] غريب الحديث (٢/ ١٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعا: القطع بأن السبيل الوحيدة لتحقيق الهداية والسعادة في الدارين.

فالهداية التّامة والسعادة الحقيقيّة هي في الاتّباع لكتاب الله الذي أنزله والالتزام بأحكامه وتطبيقها، وأن الضلال والشقاء في الإعراض عنه، ومعلوم أن كل إنسان يسعى كادحا في سبيل تحقيق سعادته، ولا سعادة حقيقية له في الدنيا والآخرة إلا بالعمل بالقرآن، قال الله تعالى في أوّل سورة طه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ طه: ١ - ٢؛ فالقرآن هو السبب الوحيد للسعادة الأبدية والبعد عن الشقاوة، ولذا قال تعالى في أواخر السورة نفسها: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾ طه: ١٢٣ – ١٢٤. قال ابن عباس رضي الله عنه: " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقي في الآخرة".[٣٤]

كما أنه السبيل الوحيدة إلى الهداية قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلۡ إِنۡ ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ۝٥٠﴾ سبأ:٥٠، فهذا نص صريح في أن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم إنما حصل بالوحي، فيا عجبًا كيف يحصل الهدى لغيره من الآراء والعقول المختلفة والأقوال المضطربة؟! ولكن ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ۝١٧﴾ الكهف: ١٧. فأيُّ ضلالٍ أعظم من ضلالِ مَنْ يزعم أنّ الهداية لا تحصل بالوحي، ثم يحيل فيها على عقلِ فلان ورأي فلتان؟ وقول زيد وعمرو؟ فلقد عظمت نعمةُ الله على عبدٍ عافاه من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى، والحمد لله رب العالمين".[٣٥]

كما بيّن الله تعالى أن سبيل التيسير للحسنى هو العمل بما دلّت عليه آيات القرآن، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ الليل: ٥ – ١٠، فقوله: (فأما من أعطى) أي قام بفعل المأمور (واتقى) بأن انتهى عن المحذور (وصدق بالحسنى) أي: بما أخبر به النبي

---

[٣٤] تفسير الطبري(١٦/ ١٩١).

[٣٥] الرسالة التبوكية لابن القيم (ص٥٠-٥١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صلى الله عليه وسلم، فمن جمع بين هذه الخصال الثلاث(فسنيسره لليسرى) ويسهل عليه أمره.

في مقابل من ترك فعل الواجبات، ولم ير نفسه مفتقرا إلى مولاه، وكذب بما أوجب الله عليه تصديقه والإيمان به فسيُيسّر للحالة العسرة والخصال الذميمة. كما في كلام السعدي رحمه الله.[٣٦]

[٣٦] ينظر: تفسير السعدي(ص: ٩٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامسا: الإيمان بالكتاب كله.

وهو مسلك الراسخين الذين امتدحهم الله تعالى بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ آل عمران: ٧.

وقد حذر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من مسلك أهل الأهواء الذين ينتقون من النصوص ما يوافق أهواءهم ويردون ما يخالفها فقال تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ٤٩﴾ المائدة: ٤٩.

كما عاب عز وجل الذين يجعلون القرآن عضين في قوله سبحانه:﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ الحجر: ٩٠ – ٩١، عن ابن عباس رضي الله عنه قال:"جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعض".[٣٧]

والتعضية: التفريق، أي: لا يفرق القرآن فيأخذ بعضه ويترك بعضه.

كما عاتب الله تعالى أهل الكتاب بقوله عزّ وجل: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ البقرة: ٨٥.

فالواجب الحذر من مسالك أهل الأهواء الذين ينتقون من الأدلة والأحكام والفتاوى ما يوافق أهواءهم ويتركون ما خالفها، فهذا في الحقيقة متبع لهواه لا للدليل.

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله:" لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذًا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق، وتعاقب على ما تركته منه لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين".[٣٨] قال ابن القيم رحمه الله: "وأنت تجد جميع هذه الطوائف تُنزّل

---

[٣٧] تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٩)

[٣٨] مجموع الفتاوى(١٠/ ٤٨٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القرآن على مذاهبها وبدعها وآرائها، فالقرآن عند الجهمية جهمي، وعند المعتزلة معتزلي، وعند القدرية قدري، وعند الرافضة رافضي، وكذلك هو عند جميع أهل الباطل، وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون".[٣٩]

والإيمان بالكتاب كله يقتضي مايلي:

١- الإيمان بالمحكم والمتشابه واتباع المحكم ورد المتشابه إليه.

٢- عدم التفريق بين الكتاب والسنة في الاحتجاج، وعدم استغناء أحدهما عن الآخر.

٣-عدم التفريق بين الأحكام العلمية والأحكام العملية، كما فعل المتكلمون من التفريق بينهما.

٤- عدم التفريق بين الأخبار الصحيحة الآحادية والمتواترة من حيث العلم والعمل.

٥- الحذر من القراءة الانتقائية وأخذ بعض الأدلة أو أطرافها واطّراح بعضها الآخر اتباعا للهوى.[٤٠]

---

[٣٩] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٨٣).

[٤٠] ينظر كتاب: أصول أهل السنة في التعامل مع النصوص الشرعية.. للمؤلف (ص ٤٧) فما بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادسا: التسليم المطلق والانقياد التام لآيات القرآن وأحكامه من غير اعتراض.[٤١]

لأن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم والخضوع لأمر الله تعالى ورسوله، وهذا هو معنى الإسلام، فهو الاستسلام والانقياد والخضوع، قال تعالى: ﴿* وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ لقمان: ٢٢، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ آل عمران: ٧٣، وبذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ غافر: ٦٦، ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ ﴿١٤﴾﴾ الأنعام: ١٤.

بل أقسم تعالى بنفسه العلية على أنه لا يتحقق إيمان العبد إلا بعد تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم ونفي الحرج مما قضاه والتسليم المطلق لحكمه، فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥.

والتسليم في الشرع يأتي بعدّة إطلاقات إضافة إلى التسليم، ومنها:

- الاستجابة، كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴿٢٤﴾﴾ الأنفال: ٢٤.

- ومنها السمع والطاعة ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ النور: ٥١وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴿١٦﴾﴾ التغابن: ١٦.

---

[٤١] ينظر المرجع السابق(ص٥١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ومنها الاتباع، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ الأعراف: ٣، قال الزهري رحمه الله: "من الله الرسالة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ، وعلينا التسليم".[٤٢]

كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم"قال الشارح: "هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء. أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه".[٤٣]

وهذا التسليم يتضمن عدة أمور، منها:

١- **التسليم بكمال بلاغ النبي صلى الله عليه وسلم للدين في جميع مسائله ودلائله،** كما قال تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ المائدة: ٣.

٢-**الأخذ بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من غير قيد أو شرط** ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۖ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ الرعد: ٤١ بل لا يسع أحدا العدولُ عن شيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغه؛ ولذا اشتدّ نكير السلف على من تردد في قبول الحديث أو عارضه.

٣-**عدم المعارضة بأي صورة من صور المعارضة، ومن أي جهة كانت،** وأبرز جهات المعارضة:

أ- بشبهة تعارض الإيمان بالخبر الوارد عن الله ورسوله، وهو ما يسمى عند المتكلمين بالمعارض العقلي.

ب- أو بشهوة تعارض الأمر بالفعل أو الترك.

ج- أو إرادة تعارض الإخلاص.

---

[٤٢] صحيح البخاري (٩/ ١٥٤).

[٤٣] شرح الطحاوية (ص: ٢٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتسليم الحقيقي هو الخلاص من هذه العوائق الخطرة.[٤٤]

٤- **القبول التام لما ورد في النصوص الشرعية من غير رد.** كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب: ٣٦، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ الأعراف: ٢، وقال صلى الله عليه وسلم: ((فمن رغب عن سنتي فليس مني)) كما في البخاري ومسلم.[٤٥]

٥- **الانقياد لأمر الله ورسوله والامتثال من غير ترك أو تردد.**

والفرق بينه وبين الذي قبله أن القبول أكثر تعلقا بأعمال القلوب بينما الانقياد أكثر تعلقا بأعمال الجوارح، قال تعالى: (﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ النور: ٥١ – ٥٢، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه))رواه البخاري ومسلم.[٤٦]

قال الإمام المروزي رحمه الله في معنى الإيمان: " الإيمان أن تؤمن بالله " بأن توحّده وتصدق به بالقلب واللسان وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر، مجانباً للاستنكاف والاستكبار والمعاندة، فإذا فعلت ذلك لزمت محابّه واجتنبت مساخطه.. "وقال: "وإيمانك بمحمد إقرارك به وتصديقك إياه دائباً على ما جاء به".[٤٧]

---

[٤٤] ينظر: مدارج السالكين(١/١٤٨).

[٤٥] صحيح البخاري ٥٠٦٣(٧/ ٢)؛ صحيح مسلم ١٤٠١(٢/ ١٠٢٠).

[٤٦] صحيح البخاري ٧٢٨٨(٩/ ٩٥)؛ صحيح مسلم ١٣٣٧(٤/ ١٨٣٠).

[٤٧] الإيمان لابن تيمية (ص: ٢٤٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- **التقيد بالتأسي والاتباع لأمر الله ورسوله من غير زيادة ولا نقصان.**

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ الأعراف: ٣، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ يونس: ١٥، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ هود:١١٢.

فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ولا يتجاوزوا ما حدّه الله لهم بالزيادة أو النقصان.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).[٤٨]

[٤٨] تقدم تخريجه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

سابعا: التجرد التام لتلقي الوحي عن الأحكام المسبقة، وعن أي هوى يبعد به عن الحقيقة.

متحريًا لمقصد الشارع من ذلك النص وماذا يريده منك، وهذا الوجه – شأن اقتباس السلف الصالح الأحكام من الأدلة– وهو مسلك الراسخين في العلم في كل زمان ومكان الذين ليس لهم رأي أو هوى يقدمونه على أحكام الأدلة بل ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ آل عمران: ٧.

وليحذر من مسلك تقرير الحكم الموافق لهواه من أي مصدر آخر، ثم يأتي للنصوص للبحث عما يوافق هواه فيختار ما يناسبه ويعرض عما خالفه، وهذا مسلك أهل الأهواء في كل زمان ومكان، الذين يقدمون أهواءهم على حكم الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ الحجرات: ١.

وقد حذر الله نبينا صلى الله عليه وسلم من اتّباع الهوى ونحن له بالتّبع من باب أولى، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ ﴿٤٩﴾ المائدة: ٤٩.وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ البقرة: ١٢٠.

وتقدم أن هؤلاء يختارون من النصوص ما يؤيد أهواءهم فتكون لهم شبهة في زيغهم ويخادعون بذلك أنفسهم، ويخادعون بها من يضلونهم من أتباعهم بإظهار أنهم إنما يعملون بما دلّت عليه الأدلة ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ البقرة: ٩.

وقد بيّن الله تعالى حقيقة من هذه حاله بقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝٤٩﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ النور: ٤٨ - ٥٠.

ثم بيّن تعالى ما يجب على المسلم في مثل هذا الحال فقال في الآية التالية مباشرة: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ النور: ٥١ – ٥٢.

فليحذر المسلم المعظّم للقرآن من هذه المسالك، وعليه أن يقبل على النصوص ليبحث فيها عن حكم الله ورسوله، وعن مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك، لا أن يبحث عما يوافق هواه وحكمه المسبق معرضا عما خالف ذلك. وألّا يقدم على أدلة الكتاب والسنة شيئا لا عقلا ولا قياسا ولا رأيا ولا مصلحة ولا مذهبا ولا قول إمام متبع، وإنما يجعل الدليل الشرعي دائما هو المقدم، عملا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ الحجرات: ١.، وفي هذه الآية قاعدة تعظيم الأدلة الكبرى وأساسها.

وعليه فلا يسع المسلم إلا أن يجعل القرآن الكريم حاكما لا محكوما، متبوعا لا تابعا، مقدّما لا متقدَّما، قال الشاطبي رحمه الله: " لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع، فإنه من التقديم بين يدي الله ورسوله، بل يكون ملبيا من وراء وراء.[٤٩] ثم نقول: إن هذا هو مذهب الصحابة رضي الله عنهم وعليه دأبوا، وإياه اتخذوا طريقا إلى الجنة فوصلوا".[٥٠]

[٤٩] أي تابعاً منقاداً متواضعاً، لا يقدم بين يدي الشرع، بل يضع نفسه حيث وضعه الله تابعا للشرع خادما له.

[٥٠] الاعتصام (٣/ ٢٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامنا: حصر مصدر التلقي للدين والمرجعية الدينية للمسلم على ما جاء في القرآن والسنة.

كما دلّ على ذلك ما تقدم من نصوص دالة على ضرورة حصر الاتباع للكتاب والسنة والتحذير من الميل إلى أهواء الناس واجتهاداتهم وآرائهم، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ الأعراف: ٣ وقال تعالى:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ الأنعام: ١٥٣، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ هود: ١١٢، وقال عزوجل:﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾الأنعام: ١٠٦، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ البقرة: ١٢٠.

وقد كان حصر التلقي على ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم واضحا في هديه عليه الصلاة والسلام، ومن المقاصد الشرعية الصريحة، ولذا ورد النهي الصريح عن مشابهة الأمم السابقة حتى في الهيئات الظاهرة فكيف بعقيدتها وعباداتها، وهذا لتأكيد الحذر من المشابهة في الهدي الباطل والاتّباع.

ومن الصور العمليّة والتطبيقيّة لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى في يد عمر رضي الله عنه قطعة من التوراة غضب، وقال: ((والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية)).[٥١]

ولما جاء أبو قرة الكندي بكتاب من الشام يحمله فدفعه إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فنظر فيه فدعا بطست، ثم دعا بماء فمرسه فيه، وقال: «إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم».[٥٢]

---

[٥١] رواه أحمد في المسند ١٥١٥٦(٢٣/ ٣٤٩) وحسنه الألباني. ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ١٥٨٩(٦/ ٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتقدم قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: " يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم أحدث الأخبار بالله غضا طريا لم يُشب".

وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله، قال ابن تيمية: " فإن هذا هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق، علما وعملا ".[٥٣]

بل نجزم أن كل ما عدا الكتاب والسنة من علوم وفهوم ومعارف دينية فهي إن لم تكن باطلة فهي ناقصة، وما فيها من حقّ فهو في الكتاب والسنة أوفى وأكمل، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ البقرة: ١٤٠، وقال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يونس: ٣٢. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم: ٦٤.

وليس في الإسلام وشريعته –ولله الحمد– شيء موقوف معرفته على شيء يُتعلم من غير المسلمين –والحمد لله– كالمنطق أو الفلسفة أوغيرهما، فأمّة محمد لا تحتاج لغير محمد صلى الله عليه وسلم.. وأمته أغناها الله به صلى الله عليه وسلم عن غيره من الأنبياء والرسل، فكيف لا يغنيهم عمّن هو دونهم.[٥٤]

ومن المقطوع به أن الدين كامل، وأننا في غنى عن كل ما يسمونه علوماً عقليّة أو فلسفية مهما زوّقوا وزوّروا، فقد أغنانا الله ولم يحوجنا لمنطقهم اليوناني ولا لفلسفاتهم الإغريقية ولا لتصوفهم الهندي ولا لهرطقاتهم وخرافاتهم النصرانية والفارسية. فلله الحمد والمنة.

---

[٥٢] رواه الدارمي بإسناد صحيح. (١/١٢٤)

[٥٣] مجموع الفتاوى(١٩/١٥٥).

[٥٤] ينظر: شرح الاصفهانية(ص٦١٦).

تاسعا: تلاوته حق التلاوة والقراءة، وتدبّر معانيه وأحكامه.

ومن حق القرآن الكريم علينا أن نقرأه ونتلوه ونتدارسه ونتدبره ونحفظه للعمل به.

فتلاوة القرآن وقراءته من أفضل الأعمال والقربات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ فاطر: ٢٩ – ٣٠.

وتلاوته تعني اتباعه بامتثال أوامره ونواهيه وتصديق أخباره والإيمان بها، كما تشمل تلاوة ألفاظه بتعلّمه وتعليمه، ودراسته وحفظه، وتدبّر معانيه واستخراج أحكامه وفوائده، فهذا من اتّباعه، والجمع بين التلاوة المعنوية واللفظية محمود.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: " والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله ".[٥٥]

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن، فقال سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ الكهف: ٢٧.أي: ملجأً ومعاذا يُلتجى ويستعاذ به.

وأمر عباده المؤمنين بقراءته: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ٢٠﴾ المزمل: ٢٠.

وأثنى على حفَظة كتابه عز وجل بقوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾ العنكبوت: ٤٩

وكفى شرفا أن يصف الله تعالى من جمع القرآن في صدره بأنه (من الذين أوتوا العلم) فمن خصائص هذه الأمة أنها تحمل قرآنها في صدورها على خلاف الكتب الأخرى، فهو محفوظ في الصدور يسير على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظا ومعنى ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢﴾ القمر: ٣٢.

---

[٥٥] تفسير الطبري(٢/ ٤٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحثّ النبي صلى الله عليه وسلم على تلاوته ومدارسته بقوله: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)). [٥٦]

والقرآن مأدبة الله لعباده كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "فعليكم بهذا القرآن؛ فإنه مأدبة الله، فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله فليفعل". [٥٧] وفي رواية: "إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخله فهو آمن". [٥٨]

وعند الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)). [٥٩]

وقال صلى الله عليه وسلم: ((اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)). [٦٠]

وبشّر أن ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه فهو عليه شاق له أجران)). [٦١]

وفي الحديث الآخر: ((يقال لقارئ القرآن اقرأ ورتل وارتق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها)). [٦٢]

واستنبطت عائشة رضي الله تعالى عنها من هذا الحديث أن درجات الجنة بعدد آيات القرآن وهي تقارب (٣٢٣٦آية) على خلاف بين أهل العلم.

ومن وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبيان حق القرآن عليهم قوله عليه الصلاة والسلام: ((تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)). [٦٣]

---

[٥٦] صحيح مسلم ٢٦٩٩(٤/ ٢٠٧٤).

٥٧ مصنف عبد الرزاق ٥٩٩٨(٣/ ٣٦٨).

٥٨ الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ٧٨٧ (١/ ٢٧٢).

٥٩ سنن الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ٢٩١٠(٥/ ١٧٦).

٦٠ صحيح مسلم ٨٠٤(١/ ٥٥٣).

٦١ صحيح مسلم ٧٩٨(١/ ٥٤٩).

[٦٢] رواه أبو داود، وحسنه الألباني ١٤٦٤(٢/ ٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وفي قوله صلى الله عليه وسلم ((تعاهدوا القرآن)) ما يدل على أهمية المحافظة على تلاوته ومراجعته ومدارسته وتدبره. ولذا شُرع ختم القرآن في الشهر مرة على الأقل، فعن عبد الله بن عمرو، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم، كم يقرأ القرآن؟ قال: ((في أربعين يوما)) ثم قال: ((في شهر)) ثم قال: ((في عشرين)) ثم قال: ((في خمس عشرة)) ثم قال: ((في عشر)) ثم قال: ((في سبع)).[٦٤]

وعلى أن يجعل المسلم لنفسه وردا يوميًّا من القرآن لا يتركه ويقضيه لو انشغل عنه.

والنصوص في فضل تلاوة القرآن كثيرة جدا.

وأتمّ القراءة وأكملها: ما اشترك فيه اللسان والعقل والقلب والجوارح.

فحظ اللسان: تصحيح الحروف بالترتيل وضبطها.

وحظ العقل: تفسير المعاني وفهمها وعقلها.

وحظ القلب: الإيمان والإخبات والخشوع والاتّعاظ، والتأثر والانزجار والائتمار.

وحظ الجوارح: الاتباع والتنفيذ فعلا أو تركا.

والقراءة تكون للأغراض التالية:

الأول: يقرأ للتعلم والحفظ، وهنا يُنصح بالتقليل والتكرار.

وفي هذا يحصل على الخيرية الموعودة في حديث: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).[٦٥]

وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: ((أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)).[٦٦]

---

[٦٣] صحيح مسلم ٧٩١(١/ ٥٤٥).

[٦٤] رواه أبو داود، وصححه الألباني ١٣٩٥(٢/ ٥٦).

[٦٥] رواه البخاري ٥٠٢٧(٦/ ١٩٢).

[٦٦] صحيح مسلم ٨٠٣(١/ ٥٥٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا.[٦٧]

الثاني: ويقرأ لتحصيل الأجر بكثرة القراءة، قال السخاوي رحمه الله: " فله أن يقرأ ما استطاع ولا يؤنب إذا أراد الإسراع".[٦٨] يعني ما لم يصل إلى الهذرمة المذمومة.

وله تجاوز ما لم يفهمه من الآيات، وهذا يرجى له حصول الأجر الموعود في الحديث أن له بكل حرف يقرؤه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وحديث: اقرأ وارتق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها. لكنه قد فاته التدبر المذكور في التالي:

الثالث: يقرأ للتدبّر، قال السخاوي رحمه الله: " فالواجب الترتيل، والتوقف".[٦٩]

والتدبر هو المقصود الأهمّ لقراءة القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ ص: ٢٩

والتدبّر هو مفتاح حياة القلوب، فينبغي في هذه الحالة أن يستشعر أن كل آية يقرؤها إنما هي خطاب له، وأن المقصود من هذا الخطاب هو الهداية والنجاة والسعادة له في الدنيا والآخرة.

قال ابن قدامة رحمه الله: " وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه مقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يرد بها السمر بل العبر".[٧٠]

وفي هذه الحالة يشعر العبد بلذّة قراء القرآن، ويتذوق حلاوة فهمه لكلام الله تعالى ومراده.

قال ابن جرير رحمه الله: "إنّي لأعجبُ مَنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه، كيف يلتذُّ بقراءته؟ ".[٧١]

---

[٦٧] تفسير الطبري(١/ ٨٠).

[٦٨] جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٦٦٥).

[٦٩] المرجع السابق.

[٧٠] مختصر منهاج القاصدين (ص: ٥٤).

وقال أبو حيان رحمه الله: " القرآن في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله".[٧٢]

وأكثر ما يحول بين القلب وبين فهم القرآن ما ذكره ابن القيم رحمه الله من أنّ أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمّنه له -أي القرآن- ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم، أو شر منهم، أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك".[٧٣]

قال حذيفة رضي الله عنه: "نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كانت لكم كل حُلْوة، ولهم كل مُرَّة!! ولتسلُكُنَّ طريقَهم قِدَى الشِّراك.".[٧٤]

وقد ذكر الإمام ابن سعدي رحمه الله جملة من منافع التدبّر فقال: " يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله:

١- مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم.

٢- وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه:

أ- يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص.

ب- ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه.

ج- ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

---

[٧١] تفسير الطبري(١/ ١٠).

[٧٢] البحر المحيط في التفسير (٣/ ٧٢٥).

[٧٣] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٥١).

[٧٤] تفسير الطبري(١٠/ ٣٤٨).

٣- وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} وقال تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

٤- ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا."[٧٥]

٥- وأنفع ما ينبغي تمرين الذهن عليه: كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن فيهما الشفاء والهدى، مجملا ومفصلا، وفيهما أعلى العلوم وأنفعها وأصلحها للقلوب والدين والدنيا والآخرة. فكثرة تدبر كتاب الله وسنة رسوله أفضل الأمور على الإطلاق، ويحصل فيها من تفتيح الأذهان، وتوسع الأفكار والمعارف الصحيحة، والعقول الرجيحة، ما لا يمكن الوصول إليه بدون ذلك".[٧٦]

ولا يمكن الانتفاع بالقرآن إلا مع التدبّر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ ق: ٣٧.

يقول ابن القيم رحمه الله: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فانه خطاب منه لك على لسان رسوله قال تعالى{إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدلّه على المراد فقوله {إن في ذلك لذكرى} إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ههنا، وهذا هو المؤثر وقوله {لمن كان له قلب} فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى {إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا} أي حي القلب وقوله {أو ألقى السمع} أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له وهذا شرط التأثر بالكلام وقوله {وهو شهيد} أي شاهد القلب حاضر غير غائب، قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله

---

[٧٥] تفسير السعدي(ص: ١٨٩).

[٧٦] الرياض الناضرة (ص١٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه.[٧٧] وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله فإذا حصل المؤثر وهو القرآن والمحل القابل وهو القلب الحي ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر".[٧٨]

والتدبر يقوم على أمرين:

الأول: فهم معانيه ومعرفة أحكامه ومسائله.

وفهم القرآن ومعرفة معانيه ومراد الله تعالى من ذلك شرط أساس لتدبره والعمل به، فلا يصح الاستدلال إلا بفهم المعنى والمراد. ولا يتحقق ذلك إلا بفهم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم؛ لأنه عليهم أُنزل وهم أفصح الأمة لغة وأحرصها على معرفة مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ ص: ٢٩.

ومما يعين على صحة الفهم ومعرفة معاني القرآن الكريم:

١- العناية بفهم الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم للقرآن.

٢- معرفة اللغة التي أنزل بها القرآن، وهي اللغة العربية ولغة الصحابة رضوان الله عليهم النّقية السليمة من تدخل اللغات الأخرى على العربية بعد ذلك.

٣- الأخذ بظواهر النصوص وعدم العدول عن ذلك إلا لقرينة شرعية صارفة؛ لأن الأصل في نصوص الكتاب والسنة إجراؤها على ظاهرها دون التعرض لها بتحريف أو تأويل، والظاهر هو: ما يتبادر فهمه من المعاني إلى العقل السليم والذهن الصافي السالم من الشوائب لمن يفهم اللغة.

٤- الجمع بين الأدلة في المسألة الواحدة؛ لأن القرآن يفسّر بعضه بعضا، وكذلك السنّة.

---

[٧٧] تفسير السمرقندي (٣/ ٣٣٨).

[٧٨] الفوائد(ص: ٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- تقديم المدلولات الشرعية على اللغوية والعرفية، لأن الشارع زاد وخصّص بعض المدلولات، وقيّد تلك الإطلاقات.

٦- مراعاة الدلالات المعينة على الفهم من أسباب النزول والمقاصد والعقل والأحكام وعمل الصحابة والأئمة بذلك.[٧٩]

الثاني: الاتعاظ؛ وطريقه إزالة الحجب والأقفال التي تمنع تفاعل القلب مع مواعظ القرآن، وتخير أوقات الصفاء والفراغ عن مشاغل الدنيا، لذا كان في تلاوة الليل ميزة، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ المزمل: ٦وناشئة الليل: هي الصلاة فيه بعد النوم﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ أي: أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن، يتواطأ على القرآن القلب واللسان، وتقلّ الشواغل، ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف المهار فإنه لا يحصل به هذا المقصود.[٨٠]

والذي ينبغي لمتعاهد القرآن بعد الضبط وتقويم اللسان بالقراءة الصحيحة أن يكون له:

- ورد للحفظ والمراجعة والتثبيت، ويحسن أن يكون جزءًا من المراجعة في الصلاة.

- ورد للقراءة العادية والختم، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم في الصلاة، وقسم في القراءة من المصحف خارج الصلاة، أمّا أيهما أولى القراءة عن ظهر قلب أو من المصحف؟ فقد أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير بقوله: " المدار في هذه المسألة على الخشوع في القراءة، فإن كان الخشوع عند القراءة على ظهر القلب فهو أفضل، وإن كان عند النظر في المصحف فهو أفضل فإن استويا فالقراءة نظرا أولى؛ لأنها أثبت وتمتاز بالنظر في المصحف قال الشيخ أبو زكريا النووي رحمه الله، في التبيان: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل".[٨١]

---

[٧٩] ينظر كتاب: أصول أهل السنة في التعامل مع النصوص الشرعية .. للمؤلف (ص ٧١-٧٨).

[٨٠] تفسير السعدي(ص: ٨٩٣).

[٨١] تفسير ابن كثير(١/ ٧٠)؛التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ١٠٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– ورد للسماع. وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((اقرأ علي)) قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: ((فإني أحب أن أسمعه من غيري)).[٨٢]

– ورد للتدبر كما تقدم، ويحسن أن يكون بالمدارسة مع الزملاء، وفي البخاري أن جبريل عليه السلام كان يلقى نبينا صلى الله عليه وسلم في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.[٨٣]

وتقدم حديث: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله عز وجل فيمن عنده)) وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين)).[٨٤]

لكن يحذر من الاغترار بالحفظ فقط، فضلاً عن المفاخرة به واتّخاذه حرفة للتّكسّب المادي في الإمامة أو الرقية أو افتتاح المناسبات ونحوها دون أن يظهر أثر القرآن في تعبد الحافظ وإخلاصه وسلوكه وأخلاقه.

قال الحسن رحمه الله :"نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا".[٨٥] يعني من يتخذ التلاوة حرفة دون العمل به.

ولذا فإن: "أَهلُ القُرآنِ هُم العَالِمُونَ بِهِ، وَالعَامِلُونَ بِمَا فيهِ، وَإِن لَم يَحفَظُوهُ عَن ظَهرِ قَلبٍ. وَأَمَّا مَن حَفِظَهُ وَلَم يَفهَمهُ وَلَم يَعمَل بِمَا فِيهِ، فَلَيسَ مِن أَهلِهِ وَإِن أَقَامَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهمِ".[٨٦]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها؛ ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به".[٨٧]

---

[٨٢] صحيح البخاري ٤٥٨٣(٦/ ٤٥)؛ صحيح مسلم ٨٠٠(١/ ٥٥١).

[٨٣] صحيح البخاري ٣٢٢٠ (٤/ ١١٣).

[٨٤] الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ٨١٤ (١/ ٢٨٠).

[٨٥] تأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٨).

[٨٦] زاد المعاد لابن القيم [١/٣٢٧].

وفي هذا المعنى ما ذكره القرطبي عن ابن مسعود رضي الله عنه: " إنَّا صَعُب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به".[٨٨]

ولا يفهم من هذا؛ التهوين من حفظ كتاب الله تعالى أو التقليل من شأن الحفظ والتحفيظ ولكن من باب التنبيه إلى أن الحفظ ليس هدفاً لذاته وإنما للإعانة على العمل به وتسهيله.

وقد عرف من كبار أدباء نصارى العرب من يحفظ القرآن باعتباره نصّاً أدبيّاً في قمة البلاغة فيتذوقون هذه الحلاوة ويتلذذون بها فيحفظونه.

وثوابهم ما يجدونه في هذه اللذة من متعة. وإلا فهم ممن يزداد من حجة الله تعالى عليه بالقرآن.

---

[٨٧] تفسير القرطبي(١/ ٤٠).

[٨٨] المصدر نفسه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عاشرا: تحكيم القرآن والتحاكم إليه ظاهرا وباطنا.

وهذه من مقتضيات الإيمان وشروطه الأساسية، ومن أهداف نزول القرآن الكريم، قال تعالى مخاطبا نبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴿٤٨﴾﴾ المائدة: ٤٨، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ النساء: ٥٩.

والرد إلى الله تعالى، أي: إلى كتابه العزيز، وإلى الرسول إلى سنته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

كما بيّن سبحانه أن التحاكم إلى غير الكتاب والسنّة هو من التحاكم إلى الطاغوت، وأنه من علامات النفاق الظاهرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ النساء: ٦٠ - ٦١إلى أن قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥.

كما بيّن عز وجل أن التحاكم إلى غير الكتاب والسنة من النكوص على الأعقاب والعودة إلى الجاهلية وحكمها، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ المائدة: ٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حادي عشر: العناية بالقرآن حسًّا ومعنًى.

نظرا لما للقرآن الكريم من المكانة والقداسة والأهمية في دين الله تعالى، كيف وهو كلام الله تعالى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولكونه آخر الكتب المنزلة والناسخ لما قبله والمهيمن عليها؛ ونظرا لعالمية الرسالة المحمدية وخلودها حتى آخر الزمان فقد أتمّ الله النعمة على أمة القرآن خاصة وعلى البشرية عامة بأن تكفّل بحفظ القرآن الكريم ولم يكل حفظه إلى الناس فيصيبه ما أصاب غيره من الكتب السماوية من التحريف والتغيير والفقدان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.

ومن حفظ الله تعالى لكتابه العزيز أن سخر من عباده وأوليائه من قام على العناية بكتابه تعالى منذ أن أُنزل وإلى يومنا هذا، وهذه العناية يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أ- العناية بحفظ حروفه وضبط ألفاظه.

وقد هيّأ الله تعالى منذ أن أنزل كتابه على نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى اليوم من الأئمة والعلماء مَن بذل جهده في حفظ كتابه وضبطه.

وقد ابتدأت هذه العناية الربانية من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩ وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٧ – ١٩، ثم بمدارسة جبريل القرآن مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان، فكان ((يلقاه كل ليلة يدارسه القرآن، فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين)) كما عند أحمد في المسند بسند صحيح. [٨٩]

ثم توالى بعد ذلك عناية المسلمين ابتداء من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين، ثم الأئمة والعلماء جمعا وكتابة وحفظا وطباعة ونشرا، وإقراء وتجويدًا، ورسما وضبطا لحروفه وآياته وقراءاته، وتفسيره ولغته وبلاغته، إلى غير ذلك من الفنون والعلوم المسخّرة لخدمة كتاب الله تعالى. وهذا أمر لا يحتاج إلى تفصيل؛ فنحن -ولله الحمد- نقرؤه اليوم غضًّا كما أنزل على

[٨٩] المسند(٥/٤٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

محمد صلى الله عليه وسلم حرفًا حرفًا، ومن هذه العناية أنه إلى اليوم يُتلقّى مشافهة بالإسناد المتصل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام عن رب العزة والجلال سبحانه وتعالى.

ومن حفظ الله تعالى لكتابه حفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بالرواية والدراية والكتابة والضبط والتنقيح وتمييز الصحيح من الدخيل بعد أن ابتكر المسلمون علم الإسناد الذي يعد من خصائص وسمات هذه الأمة، ورسموا منهجا علميا متميزا في ضبط أصول الرواية ونقدها سندا ومتنا، وتقييد قواعدها من الجهة المنهجية، كما قاموا من الجهة الموضوعية بتدوين المتون وتراجم الرجال وطبقات الرواة وضبط أسمائهم وأحوالهم ومراتبهم في الجرح والتعديل وجمع الطرق ونحو ذلك.

فحفظ الله تعالى بهم السنة كما حفظ كتابه العزيز فلله الحمد والمنة، فعلينا جميعا أن نولي القرآن حقه من العناية والاهتمام، ومن ذلك الإكثار من تلاوته، وحفظه وضبط تلاوته، وتعلمه وتعليمه ودعم ومشاركة الجهات الراعية لتعليمه، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ العنكبوت: ٤٥ وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ فاطر: ٢٩ - ٣٠

ب- ضبط معانيه وأحكامه.

من رحمة الله تعالى بالمسلمين أن أنزل إليهم هذا الكتاب﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ الشعراء: ١٩٥ ليدّبروا آياته ويفقهوا معانيه﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ يوسف: ٢.

كما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم وجعل من مهامه ووظائفه الشريفة﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ النحل: ٤٤، وجعل من واجبات المسلمين ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ ص: ٢٩، وأنكر على من لا يتدبرون القرآن ولا يتفهمون معانيه﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ محمد: ٢٤. قال الإمام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضحاك : " لا يعذر أحد حر ولا عبد ولا رجل ولا امرأة لا يتعلم من القرآن جهده ما بلغ منه فإن الله تعالى يقول :{كونُوا ربانيين بِمَا كُنْتُم تعلمُونَ الْكتاب وَبِمَا كُنْتُم تدرسون}".[٩٠]

وتقدم تفصيل ذلك في فقرة : ثالثا: تلاوته حق التلاوة.

ج- العناية بتبليغه للناس ونشره والدعوة إليه.

وهذا من حق القرآن علينا ومن حق المسلمين، بل والناس كافة أن نبلغهم ما نزل الله علينا من هذا النور، وأن نمشي به في الناس لإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور القرآن والإسلام، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأنعام: ١٢٢ ، تأمل قوله تعالى: (يمشي به في الناس) ليضيء طريقه وطريق الناس، يعلمهم الخير وينقذهم الله به من ظلمات الكفر والفسق والعصيان إلى نور الإيمان والقرآن.

وقال تعال: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ آل عمران: ٧٩ قال شيخ المفسرين ابن جرير رحمه الله :"أي إنما يدعوهم إلى العلم بالله، ويحدوهم إلى معرفة شرائع دينه، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه، وأئمة في طاعته وعبادته بكونهم معلمي الناس الكتاب وبكونهم دارسيه".[٩١]

وقال الشوكاني : "في هذه الآية أعظم باعث لمن علِم أن يعمل بما علم، وإن من أعظم العمل بالعلم تعليمه والإخلاص لله فيه".[٩٢]

وهذا عهد وميثاق أخذه الله تعالى على من آتاه شيئا من الكتاب بوجوب بيانه وعدم كتمان شيء منه، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ آل عمران: ١٨٧، وقال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ

---

[٩٠] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/ ٢٥١).

[٩١] تفسير الطبري (٥/ ٥٢٤).

[٩٢] فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٠٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٩ وقال سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٥. قال الحسن وقتادة: " هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب، فمن علم شيئا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة. وقال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا لجاهل أن يسكت على جهله".[٩٣]

ويدل على ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه: " لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية".[٩٤]

وعليه؛ فهذه الآية أصل في وجوب بيان العلم الذي في الكتاب ونشره، والتحذير من كتمانه والبخل به والتقصير في ذلك، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئا".[٩٥]

وهذا ما جاء التأكيد عليه في قوله صلى الله عليه وسلم: ((بلّغوا عني ولو آية))[٩٦] وهذا الحديث فيه تكليف وتشريف وتخفيف فالتكليف: ((بلغوا)) وهذا أمر يقتضي الوجوب، والتشريف في قوله: ((عني)) فهو تشريف للمبلّغ لكونه مبلغا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأعظم به من شرف. والتخفيف في قوله: ((ولو آية)) فيتحقق البلاغ ولو بآية.

د- العناية بحراسته والدفاع عنه.

لما تكفّل الله بحفظ كتابه وصانه من أن تصل إليه أيدي العابثين بتحريفه وتبديله، والزيادة فيه والنقصان كما حصل لكتب الأمم السابقة، وفشلهم من أول محاولاتهم المستميتة لهذا الغرض الدنيء، لما لم يجدوا سبيلا إلى تحريفه والتعديل والتبديل في حروفه وألفاظه لجؤوا إلى الطعن في قداسته والتشكيك فيه والتحريف لمعانيه ودلالاته.

---

[٩٣] تفسير القرطبي (٤/ ٣٠٤).

[٩٤] المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ١٩٠).

[٩٥] تفسير ابن كثير (٢/ ١٨١).

[٩٦] صحيح البخاري ٣٤٦١(٤/ ١٧٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا تزال هذه الحرب وما يسمى بـ(معركة المصحف) قائمة على أشدها إلى ساعتنا هذه. وقد تولى كبرها في العصور الأخيرة المستشرقون ومراكزهم البحثية وتلامذتهم من أبناء المسلمين الذين ابتعثوهم ليتتلمذوا على أيديهم، ورجعوا يحملون معاول الهدم التي تعلموها من أساتذتهم، كطه حسين وأضرابه، ثم حملة الفكر الحداثي والعلماني والإلحادي في العصر الحاضر.

لذلك كانت الحراسة لهذا القرآن والرد على شبهات المبطلين ودحضها وإبطال تحريفاتهم وطعونهم من أكثر المهمات وأوجب الواجبات على العلماء وطلبة العلم ومراكزه وجامعاته ومؤسساته الخاصة والعامة.

بل إن حفظ الدين –القائم على القرآن– هو من الضرورات الخمس الواجب على الأمة بجملتها مراعاتها وحمايتها والذود عنها.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)).[٩٧]

ولذا قام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بهذه المهمة الشريفة وذلك بجمعهم وحفظهم القرآن والسنة، وردّهم على المخالفين الطاعنين من أهل البدع والأهواء من الخوارج والقدرية والرافضة وأهل الكتاب وغيرهم.

بل بلغت عنايتهم به أن صارت مدة قراءة الآيات هي وحدة قياس زمانية متعارف عليها بينهم، كما في جواب أنس رضي الله عنه عما بين فراغ النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت من سحورهما وبين دخولهما في الصلاة فقال: "قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية".[٩٨]

وحمل هذه الوظيفة الشريفة تلامذتهم من التابعين وأتباعهم، وأئمة وعلماء المسلمين إلى عصرنا الحاضر، فبارك الله في جهودهم.

وعلى أبنائهم وأتباعهم استكمال المسيرة والجهاد في سبيل الله تعالى عن القرآن وشريعته بدحض هذه الشبهات الواهية والطعون البائسة التي يكررها الطاعنون خلفا عن

---

[٩٧] رواه مرفوعا ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١/٢٥) والبزار في المسند ٩٤٢٣(١٦/ ٢٤٧) وصححه الإمام أحمد كما في رواية مهنا، ينظر: شرف أصحاب الحديث (ص ٢٩).

[٩٨] مصنف ابن أبي شيبة ٨٩٢٨ (٢/ ٢٧٦) .

www.alukah.net

سلف، وهي شبهات داحضة وأباطيل واهية، لا تقوم على دليل ولا برهان، وهذه المهمّة من أوجب واجبات العصر، وأكثر المهمات وأشرفها نصيحةً لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وهذا من الجهاد بالقرآن الذي أمر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ الفرقان: ٥٢ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: بالقرآن.[٩٩]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ التحريم: ٩.

وجهاد المنافقين إنما يكون بالقرآن والعلم بفضحهم وكشف ألاعيبهم والرد على شبهاتهم، وهذا النوع من الجهاد هو أصعب من جهاد الكفار فهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل، كما قرر ذلك ابن القيم رحمه الله؛ لأن جهاد السيف يحمي البيضة ويفتح البلدان والأمصار، وهذا الجهاد يحمي العقيدة والفكر ويفتح القلوب والأذهان ليحررها من الخرافات والأباطيل ويزرع فيها التوحيد والإيمان.

وقد صحّ عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)).[١٠٠]

وقال يحيي بن يحيي رحمه الله: " الذب عن السنة أفضل الجهاد".[١٠١]

والقيام بهذه الوظيفة الشريفة يحقق عدة مصالح من أهمها:

١-القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- القيام بواجب النصيحة لله تعالى، ولكتابه، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم.

---

[٩٩] تفسير الطبري(١٩/ ٢٨١).

[١٠٠] رواه أحمد ١٢٢٤٦(١٩/ ٢٧٢) وأبو داود، وصححه الألباني ٢٥٠٤(٣/ ١٠).

[١٠١] مجموع الفتاوى(١٣/٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- إظهار الحق وتقريره، ورفع مناره وبيان قوة براهينه، قال تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ الصف: ٩.

٤-إبطال الباطل ومحقه وتعريته، وتحذير الناس منه قال تعالى:﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨﴾ الأنفال: ٨وقال عز وجل:﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾ الصف: ٨.

٥- كشف الشبه والتدليسات والبدع، والرد عليها، ليستبين الحق لطالبه ويستبين سبيل المجرمين للحذر منها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثاني عشر: الحذر من هجر القرآن والإعراض عنه وعدم الاهتمام به.

لأنه به حياة القلوب، وبهجره موتها((وإذا فسد القلب فسد الجسد كله))[١٠٢] قال تعالى مبيّنًا شكوى الرسول صلى الله عليه وسلم من هجر قومه للقرآن وإعراضهم عنه، متأسّفا على ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ الفرقان: ٣٠.

والهجر ترك الشيء رغبة عنه. والقرآن الذي تجب العناية به والاهتمام جعلوه متروكا مرغوبا عنه، والآية وإن كانت في المشركين إلا أن نظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به والأخذ بأحكامه وآدابه الذي هو حقيقة الهجر، لأن الناس متعبدون بالعمل به وتلاوته والتمسك بأحكامه.

وهجر القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- هجر ألفاظه، بحيث يعرض عن تلاوة القرآن وقراءته وتدبّره.

٢- هجر عملي، وهو هجر العمل به وبأحكامه وتشريعاته والاستشفاء به وإن كان قد يقرؤه بل وقد يحفظه.

٣- هجر لفظي عملي، وهو ألا يقرؤه ولا يعمل به بل يعرض عنه بالكلية، وهذا أشدها وأقبحها.

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر أن من هجران القرآن عدم الإصغاء إليه:

-" وترك علمه وحفظه أيضا من هجرانه.

-وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه.

-وترك تدبره وتفهمه من هجرانه.

-وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه.

-والعدول عنه إلى غيره -من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه".[١٠٣]

وزاد الحافظ ابن القيّم رحمه الله في تعداد أنواع الهجر:

---

[١٠٢] صحيح البخاري ٥٠(١/ ٢٠)

[١٠٣] تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

– هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

– هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها وكل هذا داخل في قوله {وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا} وإن كان بعض الهجر أهون من بعض".[١٠٤]

وهو أوسع من أن يكون في باب الرقية فقط، بل يكون الاستشفاء بآياته لطلب هداية القلب وصلاحه وتبديد الظلام عنه.

قال تعالى :﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ ﴾ "فالقرآن : هو الشّفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كلّ أحدٍ يؤهّل ولا يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه : لم يقاومه الداء أبداً .

وكيف تقاوم الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدَّعها؟ أو على الأرض لقطَّعها؟، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه، والحمية منه لمن رزقه فهماً في كتابه ..".[١٠٥]

بل إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء؛ فترك شيء من هداياته في أمور الدين والدنيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية وغيرها كله داخل في هجره المذموم.

فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصّته.

اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك، وأبناء إمائك، نواصينا بيدك، ماض فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء حزننا، وذهاب همّنا وغمّنا.

اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكّرنا منه ما نُسّينا، وارزقنا تلاوته والعمل به آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنّا.

---

[١٠٤] الفوائد(ص: ٨٢).

[١٠٥] زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٢٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتويات:

مقدمة: ٢

فضل القرآن ٣

حقوق القرآن ٩

أولا: الإيمان الجازم واليقين القاطع بأن القرآن هو الحق نزل بالحق من الحق سبحانه وتعالى. ٩

ثانيا: التعظيم والتقديس للقرآن وإقداره حق قدره. ١٢

من لوازم التعظيم للقرآن الكريم ومقتضياته ١٢

ثالثا: اليقين الجازم بأن كتاب الله تعالى مبيِّن للدين كله، وأن الله قد أغنانا به عما سواه وأنه لا غنى لنا عنه طرفة عين. ١٥

رابعا: القطع بأن السبيل الوحيدة لتحقيق الهداية والسعادة في الدارين..... ١٧

خامسا: الإيمان بالكتاب كله..... ١٩

مقتضيات الإيمان بالكتاب كله ٢٠

سادسا: التسليم المطلق والانقياد التام لآيات القرآن وأحكامه من غير اعتراض ... ٢١

متضمنات التسليم لآيات القرآن وأحكامه..... ٢٢

سابعا: التجرد التام لتلقي الوحي عن الأحكام المسبقة، وعن أي هوى يبعد به عن الحقيقة..... ٢٥

ثامنا: حصر مصدر التلقي للدين والمرجعية الدينية للمسلم على ما جاء في القرآن والسنة. ٢٧

تاسعا: تلاوته حق التلاوة والقراءة، وتدبّر معانيه وأحكامه. ٢٩

أغراض القراءة ٣١

ركنا التدبر ٣٥

الأمور التي تعين على صحة الفهم ومعرفة معاني القرآن الكريم..... ٣٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

عاشرا: تحكيم القرآن والتحاكم إليه ظاهرا وباطنا. ٣٩

حادي عشر: العناية بالقرآن حسًّا ومعنًى. ٤٠

ثاني عشر: الحذر من هجر القرآن والإعراض عنه وعدم الاهتمام به..... ٤٧

أقسام هجر القرآن..... ٤٧

١٤٤٣/٩/١٥هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب